جدل jadal
العدد 42 | كانون الأوّل 2024

باكورة مقالات

طلبة سمينار الدراسات العليا

للعام 2024

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

جدل 42
كانون الأول 2024

باكورة مقالات طلبة سمينار الدراسات العليا للعام 2024

تحرير: مهنّد مصطفى
تدقيق لُغويّ: حنّا نور حاجّ
تصميم: أمل شوفاني

حقوق النشر محفوظة 2024
مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
العنوان: شارع هميچنيم 90، حيفا
البريد الإلكترونيّ: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

المحتويات

06 المقدّمة

07 مقاربات اجتماعيّة

08 الخصوصيّة في ظلّ ثقافة الرقابة
أمير عودة

12 في راهنيّة الحرملك: تحليل نقديّ لمنهجيّة الألقاب والأسماء في المجتمع الفلسطينيّ
ميّادة عصفور

16 السياسة الحمائليّة، الإدارةِ الشبكيّة في السلطات المحلّيّة ونجاعةِ العمل التشارُك
أشواق مندّية

20 سياسة وقانون

21 شعبويّة نتنياهو: ما وراء النصر الشامل
مريم فرح

27 الدَّوْر الدبلوماسيّ للأكاديميا الفلسطينيّة
دعد محمود

33 في ظلّ خسارة مؤكَّدة: الالتماسات المقدّمة الى المحكمة العليا الإسرائيلية
رغدة عوّاد

37 الحركة الإسلاميّة كتيّار فاعل ومؤثّر في النقب
ساهر غزاوي

40 **فن وثقافة**

41 حملات التمويل الجماهيريّ كآليّة للحفاظ على الهُويّة: صناعة الثقافة في الداخل الفلسطينيّ
معتصم زيدان

45 أن تُنتِج فنًّا مستقلًّا في فلسطين بين الرفاهيَة والفعل السياسيّ
عبير بشتاوي

48 "العافية، المثنّى وما يُحسنُ" قراءة في جوهر ووسائط المجاوَرة عند منير فاشه
علي قادري

52 *الزمن المنفويّ... قراءة في فيلم "السبّاحتان"*
علي مواسي

58 **سياسات الحيّز**

59 بين النظرّي والعمليّ في خطط العمل المختلفة لتطوير البلدات العربيّة: طمرة نموذجًا
رنين دياب

63 "روابي": البديل الوحيد في غياب المدينة الفلسطينيّة الحديثة
مريم حاجّ يحيى-عازم

"العافية، المثنّى وما يُحسنُ" قراءة في جوهر ووسائط المجاوَرة عند منير فاشه

علي قادري*

ظهر مصطلح "المجاوَرة" لدى المفكّر التربويّ الفلسطينيّ منير فاشه[1] منذ ما يربو على عَقْد من الزمن، في مشروعه الفكريّ والتربويّ المغاير القائم على نقده لمنظومة المعرفة المؤسَّساتيّة التي ينشأ عليها الإنسان في المدنيّة الحديثة، وسؤال الجدوى منها في عصر التكنولوجيا، بوصفها "الأعجوبة" الوهميّة المناقضة لجوهر الحياة والبيولوجيا والطبيعة والحضارة والتاريخ. يعود المصطلح في دلالاته وطبيعته الإجرائيّة إلى تحشيد جهد عقود من الزمن، في المسعى إلى نحت بديل ووسيط لإطار التعليم الرسميّ، مناهضَيْن ومناقضَيْن لمفهوم "المؤسَّسة"؛ فهو يعرّف "المجاوَرة" بوصفها إطارًا اجتماعيًّا وأداةً للتعلُّم والعمل المجتمعيّ، وهو ما لا يختلف عن تعريف "المؤسَّسة" كذلك، والقصد بالمؤسَّسة مؤسَّسةُ التعليم، بدءًا من المدارس بمختلف مراحلها وانتهاءً بالجامعات، وبما تمثّله من مرجعيّات وسلطة معرفيّة هرميّة في بنْيتها وإطارها وجوهرها.

المجاوَرة لغةً هي مصدر الفعل (جاوَرَ) ومعناه: أقام قربَ مسكنه، وجاورَ في المسجد: اعتكفَ فيه واستجارَ به، وجاورَ بني فلان: تمتّع بجوارهم، وتكثر الدلالات الاشتقاقيّة في سياقات متعدّدة من الجيرة والجِوار والجَوْر، إلخ... لن يتوقّف الحديث عن وسيط "المجاوَرة" عند هذا الحدّ، بل أستعرض في الأسطر اللاحقة مصطلحات وألفاظًا منسيّة قِوامُها ارتباط اللغة بعمق الحياة والحضارة والجمال كما يَسِمُها فاشه، مثل استناده إلى الفعل: حَسُنَ، يَحْسُنُ في مَفْهَمة تقييم الجهد الإنسانيّ، كما ورد في قول الإمام عليّ "قيمةُ المرء ما يُحْسِنُ"، وارتباطات أخرى بين اللغة والمفهوم والممارَسة الإبداعيّة التي تميّز "المجاوَرة".

بالعودة إلى إحدى الوثائق المؤسِّسة عند فاشه "مسيحيّة أمّي ومسيحيّة الغرب -المسيحيّة من وجهة نظر فلسطينيّة"، تتكشّف الأقنعة في هذا الكتيّب عن المسيحيّة كمؤسَّسة استطاعت على امتداد قرون طويلة فرض هَيْمَنتها على حياة المسيحيّين العرب عامّة، والمسيحيّين الفلسطينيّين على وجه التحديد، إلى أن وصل بفعل المراقَبة والتأمُّل والمعايَشة مع أمّه ووالده وعائلته المسيحيّة المهجَّرة من مدينة القدس في العام 1948، إلى اكتشاف المسيحيّة كثقافة ومفهوم يعيشان وينبضان داخل الثقافة الإسلاميّة العربيّة، ومسيحيّة أمّه التي اقترنت بممارستها الفطريّة، في علاقات الجوار التي ربطتها بسائر نساء المجتمع، ودعوتها الدائمة إلى المحبّة بوعي قِيَميّ ليس مرتبطًا بأيّ معرفة

1. (1941 -) مفكّر وتربويّ فلسطينيّ، وُلِد في مدينة القدس وهُجّر منها في نكبة عام 1948، حاصل على درجة الدكتوراة في التربية من جامعة هارفارد. وفي عام 1989، بدأ فاشه بطرح بدائل عن التعليم الرسميّ كتعليم مرتبط بالطبيعة ومبنيّ على الخبرة الذاتيّة للأشخاص وملهم من الناس والمجتمع والحضارة، بسبب إغلاق المدارس والجامعات أثناء الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى، وبناء على ذلك تشكّلت اللجان الشعبيّة بالأحياء والبيوت بديلًا عن المدرسة والجامعة.

مؤسَّساتيّة أو منهجيّة، لأنّها كانت تفهم ممارسات المسيح بوصفه مدافعًا عن حقّ المظلومين، وفي دعوته إلى استعادة إنسانيّة الظالم وتحريره من قيود المؤسَّسة المسؤولة عن تدجينه ورسم طريق واحدة للمعرفة لديه، وهو ما عملت عليه مسيحيّة الغرب مدّة قرون من الزمن، في رسم طريق واحدة للمسيحيّة كمؤسَّسة تقودها الكنيسة، وتتوق من خلالها إلى السيطرة على المجتمع باسْم الدين، وانصياع المؤمنين إلى هذه السلطة، كما يقول فاشه؛ وذلك أنّ المشكلة لا تكمن في فصل الدين عن السياسة، إذ إنّ السياسة من حيث تفاعل العلاقات الإنسانيّة فيها كانت دائمًا تتحرّك جوار الدين، لكنّ ما فعله القدّيس أوغسطين في القرن الرابع الميلاديّ، ومعاوية بن أبي سفيان في القرن السابع الميلاديّ، هو إخضاع الدين إلى النظام السياسيّ الحاكم، أي إلى السلطة، لأنّ الأخيرة في جوهر وجودها تقوم على الاستغلال والترويض والتدجين بغية ضمان البقاء والاستمرار. كذلك فعل الغرب بدايةً في نظام التعليم، بتحويله إلى مؤسَّسة معزولة عن المجتمع وسياقات الحياة المختلفة والمتنوّعة والمتعدّدة الألوان، ليصبح نظامًا رماديًّا يحارب الإبداع ولا يمنح مكانًا للخطأ بوصفه رديفًا للتعلُّم، وأقام البنْية الهرميّة في مفاهيم التقييم العموديّ بحيث يكون من هو أعلى ومن هو أقلّ، مُقصِيًا قيمة المرء المضافة في الحياة بسؤاله عن ذاته وما يمكن لها أن تضيف للحياة من معرفة وفنّ وجمال، ومن هنا نظر فاشه إلى التقييم من باب الصنيع الحسَن لدى الإنسان.

بالعودة إلى المسيح الفلسطينيّ عند فاشه نقول إنّه هو المسيح الذي كان متمسّكًا بمبدئه، وهو المسيح الفلسطينيّ الأصليّ، فإن طُلِب من فنّان في القرن الواحد والعشرين أن يرسم وجهًا له، فإنّه على أغلب تقدير وببحث تاريخيّ سيصل إلى لون بشرة الفلسطينيّ؛ إذ من غير الممكن أن تكون صورة المسيح الحقيقيّة شبه الهولنديّ أو الأنجلو ساكسونيّ. ولفَهْم ممارسة المسيح الفلسطينيّ، يتحدّث فاشه عن امرأة من بيت ساحور، في أوج الانتفاضة الأولى، ورفضها للمقايضة التي عرضها عليها الضابط في الجيش الإسرائيليّ، حين اقتحم بيتها وقام بتعفيشه ومصادرة ممتلكاته، ولم يبقَ سوى الثلّاجة، فخاطبت هذه المرأة الضابط طالبةً منه أن يترك الثلّاجة لها، ففيها حليب لأطفالها ولن تجد ما يسدّ رمقهم، فساومها الضابط بدايةً على مبلغ خمسة وعشرين دولارًا مقابل أن يترك الثلّاجة لها، فقالت له إنّها خاطبته معتبرةً أنّ له أطفالًا ولا بدّ أنّه سيتركها لها، فقال لها: ادفعي عشرة شواقل وسأتركها، فلم تتردّد بالرفض، فقال لها: ادفعي شاقلًا، فقالت له: خذ الثلّاجة وانصرف. لقد حاولت هذه المرأة أن تعيد إلى ذهن الضابط التفكير بأولاده وإنسانيّته، لكنّها فشلت، وربّما نجحت -كما يقول فاشه-باستنهاض المسيح فيها والحاجة إلى تحرير الضابط من عبوديّة المؤسَّسة التابع لها. بعبارة أخرى، كما أعاد فاشه تعريف المسيح وصورته خارج المؤسَّسة المهيمنة، فهو يُظهِر لنا كيف تعيد المرأة تعريف المسيحيّة والمسيح أو الأخلاق من خلال سلوكها.

مَصادر المعرفة

يكتب منير فاشه، الباحث والحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة هارفارد، عن أمّه على أنّها مصدر من مصادر المعرفة. وأمّه لم تتلقَّ دراسة في مدرسة قَطُّ، بل كانت أمّيّة تمامًا لا تقرأ ولا تكتب، لكنّها كانت صاحبة معرفة، ومصادرها المعرفيّة من الحياة، كما يقول في أكثر من مناسبة. بدأت هذه القصّة، التي تبدو طريفة، حين أضاف إلى قائمة المصادر والمراجع الأكاديميّة في مقترَحه للدكتوراه "أمّه" وَ"الدجاجة الفلسطينيّة" بوصفهما مصدرَيْن للمعرفة، من الحياة لا من الكتب. رفضت لجنة الدكتوراه إبقاء المصدرَيْن ضمن قائمة المراجع، لكنّ فاشه أصرّ على موقفه وتوقّف نتيجة هذا

الإصرار سنة كاملة عن الكتابة، وقد شعرت لجنة الدكتوراه من (هارفارد) بإهانة كبيرة نتيجة هذه الاقتراحات، إلّا أنّ الأمر كان نتيجة فَهْم عميق في فَهْم وتأمُّل معنى المعرفة؛ فهل هي تعني مجرّد المعلومات الناجمة عن أهل الاختصاص والباحثين في المراجع والمصادر الموثّقة والمعزولة عن حياة الإنسان والمجتمع، أم إنّها القيمة التي يكتسبها الإنسان في التعلُّم عن ذاته وعن الحياة، حتّى تتحوّل المعرفة إلى قيمة مفيدة تضاف إلى الذات الباحثة، وإلى الإفادة في الحياة والطبيعة لِما يكون الإنسان قادرًا على تحقيقه؟

إنّ إصرار فاشه جعله يقسّم المعرفة تقسيمًا ثنائيًّا: معرفة الأهالي ومعرفة المؤسَّسات. الأولى هي معرفة أصيلة في الإنسان، والدته الأمّيّة عملت مدّة عشرين عامًا خيّاطة ملابس نسائيّة، واستطاعت بمعرفتها الفطريّة وذكائها العاطفيّ أن تصمّم الفساتين والملابس لنساء رام الله وقضائها، دون أن تكون لها معرفة في قوانين الحساب والهندسة، حيث اعتمدت على نباهتها وعافيتها[2] الفطريّة وبعض الألوان حتّى تميّز كلّ قطعة قماش وتنسبها لموضعٍ ما في جسد المرأة؛ وهكذا عملت طيلة حياتها وكسبت رزقها واستطاعت أن تبني بيتًا للعائلة في رام الله بعد إجلائهم عن بيتهم في نكبة العام 1948 وسطو إحدى العائلات اليهوديّة عليه. وهنا كان التحدّي لدى فاشه أمام لجنة الدكتوراه من هارفارد؛ فهل بإمكانه أن ينكر رياضيّات أمّه التنسيقيّة لأجساد أكثر من 15 امرأة ألبستهنّ فساتين وأثوابًا؟! مقابل معرفة الأهالي، يَخْلص فاشه إلى أنّ معرفة المؤسَّسات (التي هو جزء منها ومن عالمها) تقوم على العلوم والمعرفة الرياضيّة غير المفيدة، وهو الذي ألّف كتبًا في مناهج الرياضيّات وعمل مُحاضرًا لمادّة الرياضيّات مدّة عشرين عامًا في جامعة بيرزيت. وهو يقرّ أنّه إن توقّف الطلّاب عن تقدُّمهم إلى امتحانات التوجيهيّ في المدارس في مادّة الرياضيّات، فسيكون عاطلًا عن العمل، لأنّه لن يجد من سيطلب منه دراسة الرياضيّات، فمعرفته صالحة لعالَم المؤسَّسات حصرًا، ما دامت هذه المؤسَّسات ماضية في بيع الوهم والانعزال عن الحياة، بينما ستبقى معرفة أمّه، معرفة الأهالي، صالحة في كلّ زمان ومكان.

الصلة بين الدجاجة الفلسطينيّة ونظام التعليم

يقول فاشه إنّ وزارة التربية والتعليم سرقت فكرة التعليم من مَزارع الدجاج والدواجن التي أقامها الاحتلال الإسرائيليّ في المستوطنات في الضفّة الغربيّة مطلع الثمانينيّات. وتعود هذه المقارَبة إلى مراقبَة فاشه للدجاجة الفلسطينيّة، الدجاجة التي كانت تعيش في حاكورة البيت، تأكل العشب والحبوب الطبيعيّة وتعيش في هذه البيئة، وتعطينا باستمرارٍ البيضَ الخالي من الهرمونات والعقاقير، ولم يكن دائرًا في أوساط الفلاحين الحديثُ عن تحديد كمّيّة البيض التي يأكلها الإنسان، ومدى أضرارها في رفع منسوب الكولسترول في جسم الإنسان. عاش الإنسان في حاكورته معافى الصحّة والنفس، إلى أن قامت إسرائيل بإنشاء مَزارع الدجاج. وفي زيارته لتلك المَزارع في إحدى المستوطنات، اكتشف فاشه أنّ الإسرائيليّين سرقوا فكرة إنشاء هذه المزارع من التعليم، حيث يُحشر الدجاج في أقفاص، يأكل كلّ النهار بشكل أعمى، ويبيض لنا في اليوم التالي بيضًا لا علاقة له بالبيض الذي نعرفه من الحاكورة الفلسطينيّة. ومن هذا المثال الذي رفضته لجنة الدكتوراه من هارفارد، وقبولهم

2. يتكرّر التعبير "عافية" عند فاشه، في الكثير من المجاورات الوجاهيّة، بوصفه ما يحقّق سعادة الإنسان ويتماهى مع جوهر وجوده. وأساس العافية هو الشفاءُ من المدنيّة الحديثة وما أفرزته مظاهر العَوْلَمة من استهلاك وعبوديّة للتكنولوجيا ووسائطها، ورفعُ الوعي في ما يخصّ الغذاء الذي يدخل إلى جسم الإنسان في هذا العصر. هي العافية المادّيّة والروحيّة.

لأمّه كمصدر للمعرفة، يطوّر لنا منير فاشه وسيطًا وإطارًا وناظمًا يُطلَق عليه اسم "المجاوَرة"؛ فهي التي شكّلت البنْية التحتيّة في المجتمعات عبْر التاريخ، بينما "المؤسَّسة" تشكّل البنْية الرئيسيّة في المجتمعات الحديثة، وتنظر إلى كلّ ما هو خارج حدودها على أنّه متأخّر ومتخلّف عن الركْب.

تأتي "المجاوَرة" كي تستبدل "المؤسَّسة الحديثة" ونظام التعليم المتآكل، والذي لا يُنتِج إلّا علاقات هرميّة ويعمل ضمن أهداف تحدّدها وتسيطر عليها السلطة، والمحكوم لقاعدة الصواب والخطأ التي يُقِرّها موظّفون ومهنيّون غير مبدعين في معظم الأحيان، وإقرار المؤسَّسة الحديثة خطًّا حديثًا للتقدُّم والتطوُّر، بينما تنهض المجاوَرة على إدراك التعلُّم بوصفه صقلًا للذّات وجدلًا مع ما يحيط بالإنسان من مكان وطبيعة وحضارة وذاكرة جمعيّة، وتضيف المجاوَرة للمتعلّم مهارة الربط والتناغم بين الفكر والممارسة، وهي لا تُخضِع المتعلّمين لسلطة، بل تعمل وَفْق مبادئ وقناعات يحدّدها المتجاورون، فضلًا عن أنّ التقدُّم والتطوُّر في المجاوَرة لا يحمل وجهًا واحدًا ووحيدًا بل يقوم على الإيمان بوجود مصادر ووسائط متعدّدة لهذه الغاية.

المُريد والمُراد

إنّ هذا المفهوم الصوفيّ يعمّق تجربة المجاوَرة، وذلك أنّ المتعلّم والباحث في إطار جماعيّ هو "مُريد" وَ "مُراد" في الوقت عينه؛ فمن خلال اللقاء والتفاعل والتناغم الفكريّ والعاطفيّ للنفس والجسد لا بدّ أن تتأتّى المعرفة في هذه الحلقة الصوفيّة، وكذلك فإنّ المجموعة التعلُّميّة هي دائرة من العلاقات والتفاعلات والتناغم والتجاور المعرفيّ بين الناس، إلى أن تتحوّل المعرفة في هذا الصدد إلى إنتاج حواصل التفاعلات والتناغم بين المريدين والمرادين، فالمعرفة الحقيقيّة لا تنهض على اليقين بل على الشكّ، وفي ثنائيّة المريد والمراد تكمن جدليّة "المثنّى" مفهومًا ثقافيًّا وتراثيًّا عربيًّا أصيلًا، لا لغويًّا فحسب، فإنّ الأسئلة الداخليّة والبحث مع الذات هي علاقة المثنّى الأولى التي عبّرت عنها اللغة شعرًا وفلسفةً وفكرًا، ومنها ينطلق الإنسان إلى إقامة علاقة مُثَنَّويّة جديدة بين ذاته والعالم.

الدعوة في هذا السياق هي إلى استعادة "العافية" عند الفلسطينيّ، في كلّ محفل تروّضه المؤسّسة في المدنيّة الحديثة، في إنشاء علاقاته المتجاورة مع ذاته ومجتمعه وبيئته، فكلّ قيمة حقيقيّة للمعرفة عليها أن تمنح الإنسان العافية الفكريّة المستقلّة والخالصة المنعزلة عن الارتباط والتبعيّة الاستهلاكيّة بنظامٍ عالميّ، نظامٍ يسعى إلى رؤية الإنسان في هذه المدنيّة الحديثة والمعرفة على حدّ سواء في أفق معرفيّ واحد وفي تحديد طريق واحدة ومطْلَقة لوهم التطوُّر والتقدُّم.

ما يعيشه الفلسطينيّون اليوم، من حالة تمزُّق وتشرذم وانفصال عن الواقع والهمّ الجمعيّ، يدعونا إلى إعادة النظر في المصطلحات المنسيّة، وإلى نسف الوهم المعرفيّ الغربيّ والانصياع لسلطة المعرفة الغربيّة، والتصويب نحو أدبيّات وسرديّات من التراث العربيّ الغزيرة بمادّة التحرُّر والعافية والإحسان حتّى تستردّ الروح الفلسطينيّة إرادتها وأصالتها.

*** علي قادري: طالب دراسات عليا في قسم اللغة العربيّة وآدابها - جامعة حيفا.**

مدى الكرمل
المـركـز العـربـي للـدراسـات
الاجتماعية التطبيقية